فِيهَا إِلاَّ خِيَارًا رَبَاعِيًا.

فَقَالَ: «**أَعْطِهِ إِيَّاهُ إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً**».

«البَكْرُ مِنَ الإِبِلِ (فَبِفَتْحِ البَاءِ) وَهُوَ الصَّغِيرُ كَالغُلَامِ مِنَ الآدَمِيِّينَ وَالأُنْثَى بَكْرَةٌ وَقَلُوصٌ وَهِيَ الصَّغِيرَةُ كَالجَارِيَةِ؛ فَإِذَا اسْتَكْمَلَ سِتَّ سِنِينٍ وَدَخَلَ فِي السَّابِعَةِ وَأَلْقَى رَبَاعِيَة (بِتَخْفِيفِ اليَاء) فَهُوَ رُبَاع؛ وَالأُنْثَى رُبَاعِيَة (بِتَخْفِيفِ اليَاءِ)»[٢٠].

٦/ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ:

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ صُهَيْبٍ أَنَّ صُهَيْبًا كَانَ يُكَنَّى أَبَا يَحْيَى وَيَقُولُ: إِنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ الْكَثِيرَ، فَقَالَ لَهُ: عُمَرُ يَا صُهَيْبُ مَا لَكَ تُكَنَّى أَبَا يَحْيَى وَلَيْسَ لَكَ وَلَدٌ، وَتَقُولُ إِنَّكَ مِنَ الْعَرَبِ وَتُطْعِمُ الطَّعَامَ الْكَثِيرَ وَذَلِكَ سَرَفٌ فِي الْمَالِ؟

فَقَالَ صُهَيْبٌ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَنَّانِي أَبَا يَحْيَى، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي النَّسَبِ فَأَنَا رَجُلٌ مِنَ النَّمِرِ بْنِ قَاسِطٍ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ وَلَكِنِّي سُبِيتُ غُلَامًا صَغِيراً قَدْ غَفَلْتُ أَهْلِي وَقَوْمِي، وَأَمَّا قَوْلُكَ فِي الطَّعَامِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ وَرَدَّ السَّلَامَ**»، فَذَلِكَ الَّذِي يَحْمِلُنِي عَلَى أَنْ أُطْعِمَ الطَّعَامَ[٢١].

٧/ الفِقْهُ فِي الدِّينِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟

قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ لله**».

قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ.

قَالَ: «**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ الله**».

قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ.

قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا**»[٢٢].

[٢٠] «شَرْحُ النَّوَوِي عَلَى مُسْلِم» (١١/ ٣٧).

[٢١] رَوَاهُ أَحْمَد (٢٣٩٢٦)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٤٤).

[٢٢] رَوَاهُ البُخَارِي (٣٣٨٣).

«وَأَمَّا قَوْلُهُ: (**إِذَا فَقِهُوا**) فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الشَّرَفَ الإِسْلَامِيّ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ .. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يُسْلِمْ فَلَا اعْتِبَارَ بِهِ سَوَاءٌ كَانَ شَرِيفًا أَوْ مَشْرُوفًا سَوَاءٌ تَفَقَّهَ أَوْ لَمْ يَتَفَقَّهْ، وَاللهُ أَعْلَمْ»[٢٣].

٨/ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْتِزَالُ الفِتَنِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ فِي الفِتَنِ رَجُلٌ آخِذٌ بِعَنَانِ فَرَسِهِ أَوْ قَالَ: بِرَسَنِ فَرَسِهِ خَلْفَ أَعْدَاءِ اللهِ يُخِيفُهُمْ وَيُخِيفُونَهُ، أَوْ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي بَادِيَتِهِ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ تَعَالَى الَّذِي عَلَيْهِ**»[٢٤].

«الرَّسَن: وَهُوَ الحَبْلُ الَّذِي يُقَادُ بِهِ البَعِيرُ وَغَيْرُهُ»[٢٥].

٩/ مُؤْمِنٌ بَيْنَ كَرِيمَيْنِ:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «**مُؤْمِنٌ بَيْنَ كَرِيمَيْنِ**»[٢٦].

«أَيْ بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُؤْمِنَيْنِ سَخِيَّيْنِ، فَيَكُونُ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ الإِيمَانُ وَالكَرَمُ وَفِيهِ وَفِي أَبَوَيْهِ فَلِحِيَازَتِهِ شَرَفَ الإِيمَانِ وَالكَرَم، وَفِي أَبَوَيْه مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ وَمِنْ جِهَةِ أَبَوَيْه صَارَ أَفْضَلَ، أَوْ بَيْنَ أَبٍ مُؤْمِنٍ هُوَ أَصْلُهُ وَابْنٍ مُؤْمِنٍ هُوَ فَرْعُهُ، فَهُوَ بَيْنَ مُؤْمِنَيْنِ هُمَا طَرَفَاهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٢٧].

١٠/ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى أُنَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ**».

قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا.

قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ**»[٢٨].

[٢٣] «فَتْحُ البَارِي» (٦/ ٥٣٠).

[٢٤] رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِه» (٨٣٨٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٦٩٨).

[٢٥] «النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأَثَر» (ص٤٩٠).

[٢٦] رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي «المُعْجَم الكَبِير» (١٦٥)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (١١٣٠).

[٢٧] «فَيْضُ القَدِير» (٢/ ٦٥).

١١/ السَّعْيُ فِي نَفْعِ النَّاسِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»[٢٩].

نَصِيحَةٌ:

قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ العَزِيز بْنُ بَاز رَحِمَهُ اللهُ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ فَابْذُلُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَمَالِكُمْ وَنُصْحِكُمْ وَعَوْنِكُمْ لِإِخْوَانِكُمْ وَخَاصَّةً رُفْقَتِكُمْ، وَاحْذَرُوا الخِصَامَ وَالجِدَالَ وَإِيذَاءَ المُسْلِمِينَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الإِيذَاءِ ..

فَرَاقِبُوا اللهَ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ، فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي أَعْمَالِكُمْ وَفِي إِخْوَانِكُمْ، عَمَلًا بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَة]»[٣٠].

١٢/ صَفَاءُ القَلْبِ وَعِفَّةُ اللِّسَانِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**ذُو الْقَلْبِ الْمَخْمُومِ، وَاللِّسَانِ الصَّادِق**».

قُلْنَا: فَقَدْ عَرَفْنَا الصَّادِقَ، فَمَا ذُو الْقَلْبِ الْمَخْمُومِ؟

قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الَّذِي لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا حَسَدَ..**»[٣١].

١٣/ خَيْرُ الأَصْحَابِ وَالجِيرَانِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِه**»[٣٢].

[٢٨] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٢٦٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح سُنَن التِّرْمِذِي» (٢٢٦٣).

[٢٩] رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي «المُعْجَم الأَوْسَط» (٥٧٨٧)، وَالبَيْهَقِي فِي «شُعَب الإِيمَان» (٧٦٥٨)، وَالقُضَاعِي فِي «مُسْنَد الشِّهَاب» (١٢٣٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (٤٢٦).

[٣٠] «مَجْمُوعُ فَتَاوِيه» (١٦/ ٢٥٥).

[٣١] رَوَاهُ البَيْهَقِي فِي «شُعَب الإِيمَان» (٤٤٦٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (٢٩٣١).

[٣٢] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (١٩٤٤)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح سُنَن التِّرْمِذِي» (١٩٤٤).

لَطِيفَةٌ:

«أَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ أَبِي دَاوُد صَاحِبِ السُّنَنِ أَنَّهُ كَانَ فِي سَفِينَةٍ فَسَمِعَ عَاطِسًا عَلَى الشَّطِّ حَمِدَ فَاكْتَرَى قَارِبًا بِدِرْهَمٍ حَتَّى جَاءَ إِلَى العَاطِسِ فَشَمَّتَهُ ثُمَّ رَجَعَ؛ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: لَعَلَّهُ يَكُونُ مُجَابَ الدَّعْوَةِ؛ فَلَمَّا رَقَدُوا سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ: يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ أَنَّ أَبَا دَاوُد اشْتَرَى الجَنَّةَ مِنَ اللهِ بِدِرْهَمٍ»[٣٣].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللهُ: «فَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَزْهَدَ فِي قَلِيلٍ مِنَ الخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ وَلَا فِي قَلِيلٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَجْتَنِبَهُ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الحَسَنَةَ الَّتِي يُرْحَمُ بِهَا وَلَا السَّيِّئَةَ الَّتِي يُسْخَطُ عَلَيْهِ بِهَا»[٣٤].

وَفِي الخِتَامِ:

عِبَادَ الله: فَاجْتَهِدُوا فِي فِعْلِ الخَيْرَات، وَالتَّنَافُسِ فِي القُرُبَات، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَعْظَمَ مَا يَتَمَنَّاهُ الأَمْوَاتُ الرُّجُوعَ لِلدُّنْيَا لِلتَّقَرُّبِ بِالطَّاعَات: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُون].

فَأَنْتُمْ فِي زَمَنِ الإِمْهَال فَاحْذَرُوا التَّفْرِيطَ وَالتَّقْصِيرَ فِي صَالِحِ الأَعْمَال.

وَتَيَقَّنُوا أَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ العَمَل فَمَنْ أَمَّلَ أَنْ يَكُونَ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاء].

فَلْيُحَقِّقْ ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بِالحِرْصِ عَلَى إِصْلَاحِ النَّفْسِ بِطَلَبِ العَوْنِ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ مَأْمُول، وَأَكْرَمُ مَسْؤُول.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

مُحِبُّكُم فِي الله
أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou-abdelaziz@hotmail.fr

[٣٣] «فَتْحُ البَارِي» (١٠/ ٦١٠).

[٣٤] «فَتْحُ البَارِي» (١١/ ٣٢١).

أيها الناس خيركم وخياركم

هذه صفاتهم

إعداد
أبي عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ سَبَبًا لِحُصُولِ الخَيْرَات، وَمُنْقِذَةً مِنَ المُهْلِكَاتِ وَالشَّدَائِدِ وَالتَّبِعَات.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالعِبَادَةِ وَالأَسْمَاءِ وَالصِّفَات.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الأَوَّلِين وَالآخِرِين وَإِمَامُ المُتَّقِين.

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الفَضَائِلِ وَالكَرَامَات، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّين، وَبَعْدُ:

إِخْوَانِي فِي اللهِ ..إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي اللهِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مِمَّا فَطَرَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ عِبَادَهُ أَنَّهُمْ يَجِدُّونَ وَيَجْتَهِدُونَ فِي البَحْثِ عَنْ أَفْضَلِ المَلَذَّاتِ مِمَّا أَحَلَّهُ اللهُ مِنَ الطَّيِّبَات (أَوْسَعِ البُيُوت وَأَفْضَلِ القُوت، خَيْرِ اللِّبَاسِ وَأَعْلَى مَرَاتِبِ النَّاسِ)...

وَإِنَّ هَذَا المُيُولَ مِمَّا لَا يُؤَاخَذُ عَلَيْهِ العَبْدُ مَادَامَ فِي الحَلَال.. وَفِيمَا لَا يُغْضِبُ الكَبِيرَ المُتَعَال جَلَّ جَلَالُهُ.

لَكِنْ مِمَّا يُحْزِنُ القَلْبَ، وَيُدْمِعُ العَيْنَ أَنَّ الكَثِيرَ مِنَّا أَصْبَحَ جُلُّ حَدِيثِهِ عَنْ الدُّنْيَا وَمَلَذَّاتِهَا، وَشَهَوَاتِهَا وَزَخَارِفِهَا رَغْمَ أَنَّهَا دَنِيَّةٌ فَانِيَة..مَلْعُونَةٌ غَيْرُ بَاقِيَة.

أَطْلُبُ الدُّنْيَا كَأَنِّي خَالِدٌ ... وَوَرَائِي المَوْتُ يَقْفُو بِالأَثَرِ

وَلَوْ تَأَمَّلْنَا كِتَابَ رَبِّنَا وَكَلَامَ نَبِيِّنَا ﷺ لَوَجَدْنَاهُمَا يَحُثَّانِنَا عَلَى التَّسَابُقِ وَالتَّنَافُسِ وَالمُسَارَعَةِ فِي الطَّاعَاتِ وَمَرْضَاةِ رَبِّ البَرِيَّاتِ؛ فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [سُورَةُ المُطَفِّفِينَ].

وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ لَنَا حَالَ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِين وَكَيْفَ اسْتَجَابَ لَهُمْ الدَّعَوَاتِ وَأَذْهَبَ عَنْهُمْ الهَمَّ وَالغَمَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ]، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ أَيْ: «هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ المَذْكُورُونَ هُمْ أُمَّتُكُمْ وَأَئِمَّتُكُمْ الَّذِينَ بِهِمْ تَأْتَمُّون، وَبِهَدْيِهِمْ تَقْتَدُون»[1].

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ فِي اللهِ: وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَا أَرْسَلَ إِلَيْنَا نَبِيًّا كَرِيمًا وَرَسُولًا رَحِيمًا، فَمَا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الخَيْرِ إِلَّا وَدَلَّنَا عَلَيْه، وَمَا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ إِلَّا وَحَذَّرَنَا مِنْه، قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا**»[2].

وَفِي الحَدِيثِ: «**مَا بَقِيَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُ مِنَ الجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ**»[3].

وَمِمَّا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ وَالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَتَحِيَّةٍ أَنَّ الخَيْرِيَّةَ مُرْتَبِطَةٌ بِتَحْقِيقِ العُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ لِرَبِّ البَرِيَّةِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ١١٠]، فَارْتَبَطَتْ خَيْرِيَّةُ الأُمَّةِ بِشَعِيرَةِ الاحْتِسَاب، وَهِيَ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تِلْكَ المَرْأَةِ أَنَّهَا: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾ [سُورَةُ القَصَصِ]، فَجَعَلَتْ خَيْرَ مَنْ يُسْتَأْجَرُ هُوَ مَنْ جَمَعَ القُوَّةَ مَعَ الأَمَانَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وَنَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَزْوِيجِ أَهْلِ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ فَقَالَ: «**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»[4].

[1] «تَيْسِيرُ الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص٥٣٠).

[2] رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِه» (٢١٤٣٩)، وَابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِه» (٦٥)، وَانْظُرْ «السِّلْسِلَةَ الصَّحِيحَة» (٤/ ٣٠٢).

[3] رَوَاهُ الطَّبَرَانِي فِي «المُعْجَم الكَبِير» (١٦٤٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَة الصَّحِيحَة» (١٨٠٣).

وَلَمَّا ذَكَرَ المَرْأَةَ حَثَّ عَلَى ذَاتِ الدِّينِ كَذَلِكَ فَقَالَ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[5].

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ البَشِير الإِبْرَاهِيمِيّ رَحِمَهُ اللهُ: «فِي الزَّوَاجِ حُسْنُ الأَخْلَاق، لَا وَفْرَة الصَّدَاق، وَفِي الزَّوْجَةِ الدِّين المَتِين، لَا الجِهَاز الثَّمِين»[6].

وَسَنَذْكُرُ جُمْلَةً مِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي تَجْعَلُ العَبْدَ يَتَبَوَّأُ هَذِهِ المَنْزِلَةَ العَالِيَة، وَالمَكَانَةَ الغَالِيَة، وَهِيَ الخَيْرِيَّة فِي الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّة:

١/ قِرَاءَةُ القُرْآن:

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ، قَالَ: «وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا»[7].

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ حَجَر رَحِمَهُ اللهُ: «بَيْنَ أَوَّلِ خِلَافَةِ عُثْمَان وَآخِرِ وِلَايَةِ الحَجَّاج اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَة إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَبَيْنَ آخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَان وَأَوَّلِ وِلَايَةِ الحَجَّاج العِرَاق ثَمَان وَثَلَاثُونَ سَنَة؛ وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَعْيِينِ ابْتِدَاءِ إِقْرَاءِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَآخِرِهِ فَاللهُ أَعْلَم بِمِقْدَارِ ذَلِك، وَيُعْرَفُ مِنَ الَّذِي ذَكَرْتُهُ أَقْصَى المُدَّةِ وَأَدْنَاهَا»[8].

ذَكَرَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ أَبُو إِسْحَاق: كَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي يُقْرِئُ النَّاسَ فِي المَسْجِدِ الأَعْظَمِ أَرْبَعِينَ سَنَةً»[9].

٢/ حُسْنُ الخُلُق:

[4] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (١٠٨٤)، وَابْنُ مَاجَه (١٩٦٧)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «إِرْوَاء الغَلِيل» (١٨٦٨).

[5] رَوَاهُ البُخَارِي (٥٠٩٠)، وَمُسْلِم (١٤٦٦).

[6] «آثَارُهُ» (٣/ ٣٧٢).

[7] رَوَاهُ البُخَارِي (٥٠٢٧).

[8] «فَتْحُ البَارِي» (٩/ ٧٧).

[9] «سِيَر أَعْلَامِ النُّبَلَاء» (٤/ ٢٦٨).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[10].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟**».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا، وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا**»[11].

نَصِيحَةٌ:

قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِح العُثَيْمِين رَحِمَهُ اللهُ: «فَعَلَيْكَ يَا أَخِي المُسْلِم أَنْ تُحَسِّن خُلُقَكَ مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَلَقِّي أَحْكَامِهِ الكَوْنِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ بِصَدْرٍ مُنْشَرِحٍ مُنْقَادٍ رَاضٍ مُسْتَسْلِمٍ وَكَذَلِكَ مَعَ عِبَادِ الله؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ المُحْسِنِينَ»[12].

٣/ الإِحْسَانُ إِلَى الأَهْلِ:

عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي..**»[13].

«أَيْ لِعِيَالِهِ وَذَوِي رَحِمِهِ، وَقِيلَ: لِأَزْوَاجِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَذَلِكَ لِدَلَالَتِهِ عَلَى حُسْنِ الخُلُقِ»[14].

وَأَفْضَلُ تَوْضِيحٍ لِهَذَا الإِحْسَان هُوَ إِلْقَاءُ نَظْرَةٍ سَرِيعَةٍ إِلَى هَدْيِهِ ﷺ فِي مُعَامَلَتِهِ لِأَهْلِهِ؛ قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَانَتْ سِيرَتُهُ ﷺ مَعَ أَزْوَاجِهِ حَسَنَ المُعَاشَرَةِ، وَحَسَنَ الخُلُقِ.

وَكَانَ يُسَرِّبُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَنَاتِ الأَنْصَارِ يَلْعَبْنَ مَعَهَا.

وَكَانَ إِذَا هَوِيَتْ شَيْئًا لَا مَحْذُورَ فِيهِ تَابَعَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَتْ إِذَا شَرِبَتْ مِنَ الإِنَاءِ أَخَذَهُ، فَوَضَعَ فَمَهُ فِي مَوْضِعِ فَمِهَا وَشَرِبَ، وَكَانَ إِذَا تَعَرَّقَتْ

[10] رَوَاهُ البُخَارِي (٣٥٥٩) وَمُسْلِم (٢٣٢١).

[11] رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان (٢٩٨١)، وَأَحْمَد (٧٢١٢)، وَقَالَ الأَلْبَانِي (صَحِيح لِغَيْرِه) فِي «صَحِيح التَّرْغِيب» (٣٣٦١).

[12] «شَرْحُ رِيَاض الصَّالِحِين» (٢/ ٤٠٣).

[13] رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٣٨٩٥)، وَابْنُ مَاجَه (١٩٧٧)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح ابْنِ مَاجَه» (١٦٠٨).

[14] «تُحْفَةُ الأَحْوَذِي» (١٠/ ٢٦٩).

عَرَقًا - وَهُوَ العَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ لَحْمٌ - أَخَذَهُ فَوَضَعَ فَمَهُ مَوْضِعَ فَمِهَا، وَكَانَ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِهَا، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِهَا، وَرُبَّمَا كَانَتْ حَائِضًا، وَكَانَ يَأْمُرُهَا وَهِيَ حَائِضٌ فَتَتَّزِرُ ثُمَّ يُبَاشِرُهَا، وَكَانَ يُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ مِنْ لُطْفِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ مَعَ أَهْلِهِ أَنَّهُ يُمَكِّنُهَا مِنَ اللَّعِبِ، وَيُرِيهَا الحَبَشَةَ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي مَسْجِدِهِ، وَهِيَ مُتَّكِئَةٌ عَلَى مَنْكِبَيْهِ تَنْظُرُ، وَسَابَقَهَا فِي السَّفَرِ عَلَى الأَقْدَام مَرَّتَيْنِ، وَتَدَافَعَا فِي خُرُوجِهِمَا مِنَ المَنْزِلِ مَرَّةً... وَكَانَ إِذَا سَافَرَ وَقَدِمَ، لَمْ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ»[15].

٤/ سَدُّ الفُرَجِ، وَوَصْلُ الصُّفُوفِ فِي صَلَاةِ الجَمَاعَةِ:

عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خِيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلَاةِ**»[16].

فِي هَذَا الحَدِيثِ «الأَمْرُ بِاللِّينِ إِنَّمَا هُوَ لِسَدِّ الفُرَجِ، وَوَصْلِ الصُّفُوفِ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو دَاوُد عَقِبَهُ: وَمَعْنَى (**لِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ**): إِذَا جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّفِّ فَذَهَبَ يَدْخُلُ فِيهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَلِينَ لَهُ كُلُّ رَجُلٍ مَنْكِبَهُ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّفِّ»[17].

٥/ قَضَاءُ الدَّيْنِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ دَيْنٌ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ: «**دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً، وَقَالَ: اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ**».

فَقَالُوا: إِنَّا لاَ نَجِدُ سِنًّا إِلاَّ سِنًّا هِيَ أَفْضَلُ مِنْ سِنِّهِ.

قَالَ: «**فَاشْتَرُوهَا فَأَعْطُوهَا إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً**»[18].

وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي «صَحِيح مُسْلِم»[19]: عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ

[15] «زَادُ المَعَاد»(١/ ١٥٢).

[16] رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٦٧٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح أَبِي دَاوُد» (٦٧٢).

[17] «السِّلْسِلَةُ الصَّحِيحَةُ» (٦/ ٣٢).

[18] رَوَاهُ البُخَارِي (٢٦٠٦).

[19] بِرَقْم: (١٦٠٠).